مساهمة مؤسسات التعليم
في تكوين الطلبة والمثقفين الجزائريين ودورهم في الحركة الوطنية.

✍ أ/مليكة. قليل.
- ولاية الجلفة -

ملخص

لعله ليس من الغريب إن قلنا بضرورة المؤهل العلمي للحصول على فرصة للارتقاء الاجتماعي ولكن هذه الفرصة ظلت – ولفترة زمنية طويلة – أملا لا يمكن تحقيقه بالنسبة لعدد كبير من الجزائريين؛ ربما يعود ذلك للإجراءات المطبقة من طرف السلطات الفرنسية، والتي كانت منصبة على تكييف البرامج والقوانين وفقا لما يخدم مصالح المستوطنين بصورة لم تكن متوفرة حتى لأبناء الوطن الأم، وربما يعود ذلك لإحجام الجزائريين عن إلحاق أبنائهم بالمدارس التي أنشئت في بعض القرى الجزائرية؛ مخافة أن تتسبب المدرسة في تحقيق الاندماج الذي ترمي إليه الحكومة العامة (بين الجزائريين والمعمرين واليهود)، وقد ارتبط ذلك في كثير من الأحيان بالخوف الذي ظل يحدو الجزائريين من ترك أبنائهم لفترة زمنية طويلة – دون رقابة- تحت سلطة مسيحية كافرة، ولكننا لن نكون منصفين إذا تجاهلنا الدور الذي لعبته مؤسسات التعليم في تكوين شخصية وتوجهات الجزائريين، خصوصا أولئك الذين يمثلون تيار النخبة، خاصة وأن أغلب الدراسات المتوفرة تشير إلى الدور الكبير الذي لعبه الطلبة الجزائريون، سواء منهم الذين تخرجوا من المدارس والمعاهد الفرنسية، أو الطلبة الذين كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور كبير في تلقينهم أصول الشريعة الإسلامية وحثهم على التمسك بمبادئ الهوية الشخصية، وبناء على ذلك رأينا أن مقتضيات الدراسة تلزمنا بطرح الإشكاليات التالية: ماهي مؤسسات التعليم التي ظهرت في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية؟ وماهو الدور الذي لعبته تلك المدارس في إحياء الضمائر الوطنية؟

وما هي خصائص الحركة الطلابية والدور الذي لعبه الطلبة الجزائريون في فرنسا وفي الجزائر على حد سواء (كمناضلين في بعض الأحزاب السياسية أو في صفوف جيش وجبهة التحرير الوطنيين وإبان فترة المفاوضات الجزائرية-الفرنسية)؟

للإجابة على هذه الإشكاليات وغيرها سنعتمد على المراجع التالية:

- الابراهيمي أحمد طالب: مذكرات جزائري- الجزء الأول: أحلام ومحن (1932- 1965).

الأشرف مصطفى: أعلام ومعالم – مآثر عن جزائر منسية، ذكريات الطفولة والشباب.

- برفيليي غي: النخبة الجزائرية الفرنكوفونية (1880- 1962).

- بن نبي مالك: بين الرشاد والتيه.

- بن نبي مالك: شروط النهضة.

- بن نبي مالك: مذكرات شاهد للقرن.

- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر- من البداية ولغاية 1962.

- تيران إيفون: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة. المدارس والممارسات الطبية والدين (1830-1880).

- جابي ناصر: الجزائر الدولة والنخب- دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية.

- جغلول عبد القادر: تاريخ الجزائر الحديث – دراسة سوسيولوجية-.

- جمعية أول نوفمبر: تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837 إلى 1954.

- جيدل عمار: أفكار استعمارية وسبل دفعها كما كشفها نزهاء الغربيين- أوجين يونغ أنموذجا-

- الزبيري محمد العربي: المثقفون الجزائريون والثورة.

- الزبيري محمد العربي: تاريخ الجزائر المعاصر.

- زوزو عبد الحميد: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي- التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (1837- 1939).

- زوزو عبد الحميد: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914- 1939)، نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب.

- عمامرة رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس – رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر.

- عمامرة رابح تركي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931- 1956) ورؤساؤها الثلاثة.

-Ageron Charles Robert, Les Algériens musulmans et la France, (1871-1919), Tome 01. 1 Paris,1968.

-Colonna,Fanny Savants Paysans (Elements d'histoire sociale sur l'Algérie rurale) Office des publication Universitaire.1, Place Centrale de Ben-Aknoun1987.

- COUDURIER , P , Le probléme de la scolarisation de la commune mixte de Khenchela , section Administration Generale – Juilliet 1949.

- Hellal Amar. Le mouvement reformiste Algerien (Les hommes et l'histoire 1831- 1957). Office des publications universitaires 2002.

مضمون

يعتبر التعليم المؤهل الأساسي للحصول على أي عمل لائق داخل الوطن ولكن هذه الفرصة ظلت – ولفترة زمنية طويلة – أملا لا يمكن تحقيقه بالنسبة لعدد كبير من الجزائريين[1] فالتعليم الابتدائي منذ سنة 1870 إلى بداية الحرب الأولى تميز بالفتور[2]، حيث كان الأطفال الجزائريون لا يجدون سوى مقعدا واحدا لكل 05 ذكور، ومقعدا لكل 16 و76 فتاة[3]،

[1] عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914- 1939)، نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب- ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 47.

[2] محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر – ج1 – منشورات اتحاد الكتاب العرب .1999 . ص 23.

[3] إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830- 1962)، دار هومة- الجزائر، 2007، ص 155.

والواقع أن كل اهتمام الإدارة كان يقتصر على خدمة المستوطنين بشكل لم يكن يتوفر لسكان فرنسا نفسها [1]؛وإهمال تعليم الجزائريين وخاصة بالنسبة لفئة النساء والتي يقدرها البعض بنسبة % 99[2]، ورغم أن هناك نية في إنشاء المدارس في المناطق البربرية[3]، إلا أن سياسة التعليم كانت ضعيفة لأن الفرنسيين كانوا يرون أن الجزائريين محكوم عليهم بأن يسلكوا سبيلا طويلا قبل أن يبلغوا المعرفة [4]، كما أن السياسة التعليمية الفرنسية كانت تهدف إلى غزو فكر الجزائريين بالدرجة الأولى [5]، ولهذا ساد التعليم جوٌّ من الخمول لمناهضة المستعمرين له[6] ويبرز ذلك في ضحالة البرامج التعليمية المقدمة وإسنادها إلى مستشرقين يلقنونها للطلبة بطريقة مشوهة[7]، أما بالنسبة لمناهج التعليم إلى غاية 1870 فإنها لم تتحسن في شيء، إذ كان التلاميذ يلقنون دروسا في الموسيقى والرسم ويطلعون على بعض نوعيات الصوت فقط [8]، وقد ظل التعليم بسيطا إلى أن وثب وثبة جديدة على إثر صدور المرسوم بتاريخ 13 فبراير1883[9]؛ فمن حسن الحظ أن "جول فيري" قرر وضع رزنامة لإنشاء المدارس ولتطوير التعليم الابتدائي في صفوف المسلمين

---

[1] رابح تركي، "الأمية في الجزائر"، مجلة الثقافة. السنة الحادية عشرة. العدد 64- يوليو- أغسطس 1981، ص 37.

[2] يقصد بها مناطق الأوراس، القبائل وبني ميزاب وأول من رسم موقع هذه المدارس هو إميل ماسكاراي، أنظر:
Colonna,Fanny Savants Paysans (Elements d'histoire sociale sur l'Algérie rurale) Office des publication Universitaire.1, Place Centrale de Ben-Aknoun1987.p. 265.

[3] فيليب لوكا، جون كلود فاتان، جزائر الأنثروبولوجيين (نقد السوسيولوجيا الكولونيالية) ترجمة: محمد يحياتن، بشير بولفراق، وردة لبنان، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال. 2002، ص 27.

[4] Ageron,Charles-Robert ,France coloniale ou parti coloniale? Presses universitaires de France 108, Boulevard Saint-Germain, Paris, 1978.p.250.

[5] زوزو، الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق، ص 48.

[6] عمال هلال- "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916" مجلة الثقافة – السنة الرابعة عشرة – العدد 79 – يناير.فبراير 1984، ص 130.

[7] إيفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة. المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880. دار القصبة للنشر. الجزائر.2007، ص 264.

[8] زوزو، المرجع نفسه، ص 48.

[9] عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي- التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (1837- 1939)، ترجمة مسعود حاج مسعود – ج 1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر- 2005، ص 347.

الشباب[1]، ربما لأنه مقتنع بأن المدرسة تشكل سلاحا ماضيا للتغلب على الروح التي أدت إلى ثورة عام 1871[2] ويرجع الفضل في فتح أول مدرسة عربية – فرنسية في الجزائر إلى نابليون الثالث الذي أصدر مرسوما بتاريخ 14 مارس 1857، على أساس أن يلتحق بها 150 تلميذا من أبناء المسلمين والمسيحيين الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية واللغة الفرنسية، وفي سنة 1863 أمر نابليون الثالث بفتح مدرسة لترشيح المعلمين والمعلمات، وبدأت تشتغل بصفة ملموسة سنة 1865 وفي نفس السنة تقرر إنشاء مدرسة عربية-فرنسية في قسنطينة تستقبل 108 تلاميذ، ارتفع عددهم إلى 199 تلميذ سنة 1871 (منهم 117 مسلم)[3]، لقد كان الهدف من إنشاء المدارس العربية-الفرنسية في تلك الفترة هو تغطية حاجة الإدارة الفرنسية مما تحتاجه من موظفين بسطاء وكتاب عاديين ومعلمين وغيرهم[4]، وموظفين في المناصب الدنيا في الإدارات المحلية[5] وفي تحقيق الاحتلال المعنوي، ويتضح ذلك عندما نتصفح تقريرا موجها إلى الحاكم العام سنة 1861 حيث أكدت فيه السلطة على " أن السلام المفروض لا يمكن أن يستمر ما لم يستأصل التعصب(الناجم عن انعدام التعليم) الذي لا يزال حيا في نفوس العامة "[6].

غير أن المدرسة العربية- الفرنسية التي أنشأت في باتنة سنة 1857 ظلت خالية لمدة طويلة، ولم يكن يتردد عليها في شهر ماي 1864 سوى 05 أو 06

---

[1] زوزو، الدور السياسي للهجرة، المرجع نفسه، ص 48.

[2] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر- من البداية ولغاية 1962- دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان،ط2، 2005، ص ص 179-180 .

[3] هلال، الطلبة الجزائريون، المرجع نفسه، ص 129

[4] مياسي، مرجع سابق، ص 100.

[5] نفس الرأي يذهب إليه أ.ديبون (O.Depont) مدير البلديات المختلطة متحدثا عن الاصطدامات التي أدت إليها انتفاضة الأوراس لسنة 1916 حيث يقول "يمكن القول بأن منطقة الجبال في بلزمة الغائرة، لم تقتحمها بعد المدارس"، أنظر : أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 420.

[6] زوزو، الأوراس إبان الاستعمار، مرجع سابق، ص 342.

تلاميذ، ولم يكونوا يجدون لتعليمها "طعما ولا ثمارا"[1]، كما حال موقف المستوطنين المعادي لتعليم الجزائريين دون نجاح السياسة التعليمية[2].

اصطدم تعليم الجزائريين منذ 1887 بسوء نوايا المستوطنين الذين عارضوا تمويل بناء المدارس الأهلية في العديد من البلديات التي كانت تحت إشرافهم، مخافة أن يتسبب التعليم العام في استعادة الوعي لدى السكان بأوضاعهم المأساوية، وقد تمكنوا من التأثير على الأوساط الإدارية في فرنسا وتحصلوا على موافقتها على فكرة توجيه أبناء الجزائريين نحو التعليم المهني[3] بدل التعليم العام وضرورة تخصيصه لأبناء العائلات المخلصة لفرنسا دون غيرها؛ ليوقظ ضمائرهم ويخلق بينهم بعض المفكرين[4]، ورغم أن تقديم الوظائف الهامة قد أغرى أطفال العائلات – ذات النفوذ- في المدارس الفرنسية؛ إلا أن هذه المناصب لم تقدم وظلت المدارس خاوية.

لقد انصبت كل الجهود على رفض المدرسة وتكوين حرفيين مسلمين يتكيفون مع طريقة إنتاج حديثة وبإمكانهم تعويض العمال الأوروبيين الذين يتقاضون أجورا مرتفعة، وذلك نتيجة الضغوط الاقتصادية والاجتماعية[5]، ولإنجاح السياسة التعليمية عملت الإدارة على خلق فئة وسطى من الجزائريين[6] تمثلها كبار العائلات وأبناء القياد وبعض الموظفين[7] واستعانت بهم لإقناع بقية الجزائريين بأهمية المدرسة ونجحت في رفع عدد تلاميذ

---

[1] مياسي، مرجع سابق، ص 157.

[2] لقد طرح (Lapasset) مشكل الانتفاع المهني بالمعارف سنة 1851، أنظر: تيران، مرجع سابق، ص 139.

[3] زوزو، المرجع نفسه، ص ص 349- 350.

[4] يرتبط تأسيس هذه المدارس بقانون 21 جوان 1865 الذي أنشأ التعليم المهني والتقني بفرنسا، أنظر: تيران، مرجع سابق، ص271.

[5] (هي البرجوازية المتكونة من المثقفين(أساتذة،نواب،و إداريون خصوصا)، أنظر: إبراهيم محديد، القطاع الوهراني مابين 1850 و1919 (دراسة حول المجتمع الجزائري- الثقافة والهوية الوطنية)، منشورات دار الأديب،وهران، ص61.

[6] ناصرجابي، الجزائر الدولة والنخب- دراسات في النخب، الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية، منشورات الشهاب- 2008، ص 25.

[7] تزايد عدد التلاميذ من 50 من بينهم 30مسلما(1865) إلى 77 منهم 61مسلما(1966)ثم إلى 68(1867) و74 منهم24 أوربيا(1868) ثم79 منهم42 مسلما، 30أوربيا و7 إسرائيليين، كان معظم التلاميذ من أولاد القياد والقضاة والشيوخ والجنود الصبايحية المقيمين في باتنة.

مدرسة باتنة إلى (40 تلميذا) في نهاية 1864[1] وذلك بعد الاستعانة بقايد العمامرة (سي مصطفى بن باش ترزي)[2]، ورغم وجود مدرسة بلدية منذ 1852 إلا أن المدرسة فتحت أبوابها للمعمرين واليهود[3]،ربما لأنها ترمي إلى غزو فكر الجزائريين بواسطة المدرسة[4]، وتحقيق الاندماج بأشكال مختلفة[5]، لتكوين طبقة من الزعماء الوطنيين الذين يعملون على تدعيم النفوذ الفرنسي في الجزائر[6]. من جانب آخر عملت السلطات الاستعمارية على توسيع التعليم فقررت إنشاء المؤسسات في عدة مناطق[7] إلا أن أغلبها أغلق[8]،كما حاولت أن تخادع الجزائريين بتعويض المدارس القديمة ببنايات جديدة فاخرة، بينما كان مجموع المتخرجين من تلك المدارس لا يبلغ آنذاك عدد الأصابع[9]، ورغم أنها خصصت ميزانية لتعليم الجزائريين (سنة 1938) إلا أن هذه الميزانية تعكس واقع السياسة الاستعمارية في مجال التربية؛ ذلك أنها كانت تساوي أقل من ربع الميزانية المخصصة للفرنسيين وأن مجموع الاعتمادات المالية المرصودة لتربية الجزائريين وتعليمهم لا يمثل إلا ربع الاعتمادات المخصصة لهيئات الأمن والقمع (الشرطة- الجندرمة- الحرس الجمهوري ومصالح السجون) وخمس مجموع ميزانية الجزائر[10].لعل تلك الأسباب أدت إلى فشل التعليم وربما يعود ذلك إلى تخوف الجزائريين من

---

[1] الذي استعان بخدمات معلم خاص ربما لأنه يدرك فوائد التعليم،أنظر: زوزو، المرجع نفسه، ص342.

[2] ربما لأن هدف المدرسة هو خلق اندماج بين الطائفتين(المسلمين- المعمرين واليهود).

[3] زوزو، الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق، ص 48.

[4] تيران، المرجع نفسه، ص217.

[5] مياسي، المرجع نفسه، ص 158.

[6] أهمها: القنطرة، عين توتة، فونتين شود، منعة، قصر بلزمة، واد علمة، واد الطاقة ومدرسة خنشلة التي ضمت أكبر عدد من أبناء العرب(26 تلميذا)، درس فيها محمد بلفقون. أنظر: زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار، المرجع نفسه. ص 347.

[7] تيران، المرجع نفسه، ص 284.

[8] إسماعيل العربي، الدراسات العربية في الجزائر(في عهد الاحتلال الفرنسي). المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1986، ص ص 72-73.

[9] أحمد محساس، " التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية"، مجلة الثقافة، السنة الخامسة عشرة، العدد 85، يناير- فبراير 1985، ص 64.

[10] حيث كانت تقدم لهم قطع نقدية من فئة "دورو" وعباءات ناعمة الملمس ككافأة، ثم أضيفت إليها ساعة ومسدس وبندقية.

ترك أبنائهم تحت سلطة مسيحية دون رقابة وقد يكون ذلك ناتجا عن قساوة المناخ أو لضحالة البرامج المقدمة، وذلك بالرغم من الجهود المبذولة لاستمالة التلاميذ[1]، ولعل ذلك ناتج عن معارضة المكاتب العربية لتعليم السكان ذلك أنهم لطالما اعتبروا المدارس معاملا لتعصب الأهالي[2]، ولا يجب أن ننسى بأن أبناء البلد حاولوا رفع مستوى تعليم الجزائريين وذلك في إطار التعليم العربي الحر الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين، من خلال إنشاء عدة مدارس في الأوراس (كما في باقي أنحاء الوطن)[3]، إلا أنها لقيت معارضة شديدة من طرف الإدارة الفرنسية، تمثلت في عدم منح رخص لفتح المكاتب (المدارس)، وهذا رغم وجود قانون يبيح ذلك[4]، وقد اشتكى الجزائريون من إغلاق جميع الكتاتيب القرآنية من طرف الإدارة الفرنسية [5] و تغريم المدرسين

---

[1] مياسي، مرجع سابق، ص 156.

[2] أهمها: مدرسة حيدوس، أم الرخاء، منعة، بوزينة، النوادر، أريس، غوفي، تيفلفال، مشونش ومدرسة تكوت واينوغيسن، شير، مدرسة كيمل(مقرها تغليسية)، مدرسة اشمول(مقرها بالحجاج)، بالإضافة إلى مدرسة باتنة التي تقع في شارع محمد الصالح بن عباس، والتي درس بها الطاهر مسعودان الحركاتي ومحمد العيد آل خليفة ومدرسة تازولت- لسان الفتى- يديرها الشيخ محمد الصالح شيخي، أنظر: اللجنة التحضيرية للندوة التاريخية التكريمية. أضواء على نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الأوراس، ص ص 36-37. كما أن الجمعية ساهمت في إرسال بعثات طلابية إلى المشرق العربي (مصر)، وتكليف الفضيل الورتلاني بنشر الوعي بين المهاجرين الجزائريين في الأوساط الفرنسية في محاولة لإنقاذهم من مهالك البيئة المعادية، أنظر:

Amar Hellal , Le mouvement reformiste algerien - les hommes et l'histoire(1831-1957),(O.P.U),2002, P190,339.

- أنظر أيضا: عبد الحفيظ أمقران الحسني –" المرحوم الفضيل الورتلاني عبر المقاومة الجزائرية ؟ إلى ثورة التحرير الوطني (1) - 1900-1959" مجلة الثقافة، السنة الثامنة عشرة – العدد 100 (1988)، ص 67.

- تركي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931- 1956)و رؤساؤها الثلاثة، ط1، 2004، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر، 2004، ص 38.

- خمري الجمعي، "جبهة الد فاع عن إفريقيا الشمالية ودور الأستاذ الفضيل الورتيلاني".مجلة الحوار الفكري. عدد 5 .أوت 2003، ص 118.

- الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة.دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. عين مليلة. الجزائر، ص ص 159- 160.

[3] هو قانون 18 أكتوبر 1892 الخاص بتنظيم " التعليم الحر" في فرنسا على أن: " الرخص تعطى لطالبيها والحكومة لها المراقبة فقط". أنظر: رابح تركي." الصراع بين جمعية العلماء وحكومة الاحتلال الفرنسي في الجزائر بالفترة 1933-1939".مجلة التاريخ. المركز الوطني للدراسات التاريخية. النصف الثاني من سنة 1981.الجزائر، ص ص 67-68.

[4] تركي رابح،" الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة ما بين 1933-1939".مجلة الثقافة. السنة الخامسة عشرة. العدد 85..يناير- فبراير. 1985، ص 196.

[5] العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1995، ص 72.

وحبسهم[1]، كما وجد تعليم آخر يمارسه شيوخ الزوايا، الذين تلقوا تعليمهم في زوايا القبائل والأوراس[2] والذي تعرض بدوره لضغط الإدارة حيث فرضت عليهم إجبارية الحصول على ترخيص خاص[3] يسلمه جنرالات المقاطعات العسكرية ويخضعهم دوريا للمراقبة والتفتيش[4]، بيد أنه يمكن أن نشير هنا إلى أن مجموعة من هذه الزوايا تخلت عن دورها التعليمي لتتحول إلى مزارات[5]، كما يمكن أن نضيف إلى العوامل السالفة الذكر التأثير المباشر للحرب العالمية الأولى على تطور التعليم وذلك بسبب تجنيد الطلبة والمدرسين للدفاع عن فرنسا، وكان من الصعب إيجاد من يخلفهم وخاصة من ناحية تدريبهم[6]، ويبدو أن السلطات الفرنسية لم تول أهمية كبيرة لتعميم التعليم[7] بقدر ما اهتمت بتطوير اقتصادها الرأسمالي[8]، كما أنها أهملت نوعا ما فئة الطلبة المسلمين الذين يتحصلون على شهادات عالية ولكنهم يتوجهون إلى ممارسة أعمال حرة بسيطة حيث أنه لم يكن مسموحا للجزائريين غير المتجنسين بممارسة سوى عدد محدود من الوظائف العمومية (من 1866 إلى 1919)، أما فيما بين 1919 و1944 فكانوا مبعدين

---

[1] تيران، مرجع سابق، ص 131.

[2] أصدره راندن سنة 1857، أنظر: فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844-1871)، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006، ص 272.

[3] زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار، مرجع سابق، ص 345.

[4] أنظر : A. Cour, " Recherches sur l'état des confréries religieuses musulmanes dans les communes de Oum-el-Bouaghi, Ain-Beida, Sedrata, Souk-Ahras, Morsott, Tebessa, Meskiana, Khenchela, en novembre 1914".Revue Africaine, Année 1921, numéro 62.Ofice des publications universitaires, Edition: N 2266,Alger.pp.294- 297-304-307.

[5] ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر- الحركة الوطنية الجزائرية في فترة مابين الحربين- مطبعة سامي، الاسكندرية (مصر)،2001، ص79.

[6] وهذا ما يوضحه "ماسكراي" عن " البلدان المندهشة التي تلزم نفسها ببناء المدارس لهذا الجمع المسكين، بينما تنقصها الطرق لخدمة الاستعمار"، أنظر:

[7] Charles Robert Ageron – Les Algériens Musulmens et la France, (1871- 1919), Tome 1- Paris, 1968. P. 339.

[8] المتكونة من الإداريين " النخب الوسيطة" ومن الضباط وصف الضباط ومن صغار القياد وأعوان القضاء ورجال الدين ومعلمي اللغة العربية وتراجمة البلديات المزدوجة أو المحاكم والمعلمين وأعوان السلك الصحي، أنظر:

عن تولي وظائف السيادة، وذلك على الرغم من انتمائهم للبرجوازية الصغيرة[1] وهم الذين ساهموا في تكوين أغلبية الطلبة الجزائريين بفضل المنح التي تحصلوا عليها لفائدة أولادهم.

يزاول الطلبة فور تخرجهم مسارا مهنيا في قطاع الإدارة أو التعليم ولكنهم دوما محرومون من ممارسة وظائف السيادة (الموثق، الوسيط، المنفذ، كاتب الضبط والمحاماة)[2]، وقد بحث ابن رحال عن المسالك التي ينبغي أن تنفتح للعناصر المتعلمة حتى لا ينتج التعليم مبعدين، واقترح لهذه المسألة ثلاثة حلول مطلبية :

- حق متابعة الدراسة "إرسال النخبة كبعثة ممنوحة إلى الكليات والثانويات والمدارس الخاصة وتوظيفهم بصورة معقولة حين تخرجهم حسب حق الوظائف الإدارية :" بالنسبة للأغلبية هناك بعض الوظائف الصغيرة المتواضعة، ومع ذلك فهي مرغوبة من الجزائريين بشدة كحاكم إداري والموثق والكتبة والخوجة والشرطي وكذلك شاويش أو ناسخين في مكتب الخدمات الإدارية[3].

- لماذا لا تحدد الحكومة الذين يتوافقون بالأفضلية حتى لا نقول مطلقا مع الجزائريين المتحدثين والكاتبين بالفرنسية ؟

- حق الإقتراع :" لماذا لا يقبل في الانتخابات التلميذ الذي أكمل بعض دراساته أو الذي نجح في بعض امتحاناته"[4].

يضاف إلى العوامل السابقة الذكر قساوة المناخ في بعض مناطق الجزائر والتي حالت دون وضع مخطط مدرسي ناجح، فعلى سبيل المثال تتميز

---

[1] غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية (1880- 1962). ترجمة م. حاج مسعود- أ. بكلي- ع. بلعربي، دار القصبة للنشر. الجزائر 2007. ص ص 63-65.

[2] جغلول عبد القادر: تاريخ الجزائر الحديث- دراسة سوسيولوجية- ترجمة فيصل عباس، مراجعة: خليل أحمد خليل،ط1، دار الحداثة للطاعة والنشر والتوزيع. بيروت – لبنان.1981، ص 88.

[3] جغلول، المرجع نفسه، ص ص 88 – 89.

[4] COUDURIER , P , Le probléme de la scolarisation de la commune mixte de Khenchela , section Administration Generale – Juilliet 1949 – pp. 9-10 .

المقاطعة الإدارية لبلدية خنشلة المختلطة بالاتساع الكبير، قساوة المناخ والوضعية المهترية للطرق دون أن ننسى التموجات في بعض الدواوير[1]، وهذا ما يطرح مشاكلا أمام عملية التمدرس، كما نشير إلى وجود منصب منذ 1903 في خنقة سيدي ناجي[2]. ويمكن أن نستشف الرغبة الشديدة في التعليم بالنسبة لبعض الجزائريين وذلك بالعودة إلى شهادة أوردها أحد الفرنسيين حين قال: " في تكوت استطعت أن أسأل مطولا أحد الأطفال الذين اجتازوا شهادة التعليم والذي قطع خمس ساعات سيرا في الجبل ليلتحق بالسيارة التي سوف تقله إلى باتنة. طفل شاب فخور بنجاحه يرغب جدا في التعلم "[3]، كما أتينا على ذكر الموقف المعادي لتعليم الجزائريين والذي يجسده ضباط المكاتب العربية فهم يعتبرون المساجد والزوايا مركزا لتكوين فئات متعصبة وجاهلة [4]وكل هذه العوامل تترجم ضعف التعليم وضآلة انتشاره[5] .

ربما تعود أسباب هذا الخمول إلى المراقبة الشديدة المفروضة على المدارس العربية الحرة من طرف المكاتب العربية؛ التي سعت إلى إخماد التعليم التقليدي بإنشاء مدارس مختلطة ومحاولة اجتذاب التلاميذ إليها من خلال وسائل تحفيزية[6]، واستنادا إلى ذلك سنحاول التعرف على الظروف المادية للطلبة خلال مرحلة دراستهم ونطلع على ظروفهم الثقافية، ونستشف الحوافز الاجتماعية والاتجاهات السياسية التي تبنوها، ونستخلص من ذلك مدى ارتباطهم بوطنهم وعائلاتهم.

---

[1] Ibid, P . 31.

[2]Rozet, G. L'Aurès escalier du Désert, Baconnier Frères, Imprimeur, 1935.p .118 .

[3] فركوس، إدارة المكاتب العربية، مرجع سابق، ص ص 269- 271.

[4] نفسه، ص 273.

[5] حضور أحد ضباط المكاتب (سيريزيا) عام 1868 بالمدرسة المختلطة بمدينة تبسة حفلا لتوزيع الجوائز على التلاميذ الناجحين؛ أين حاول إقناع الآباء بأن التعليم الفرنسي مستقل عن الأمور الدينية، أنظر: فركوس، المرجع نفسه، ص 289 .

[6] أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري- الجزء الأول: أحلام ومحن (1932-1965)-دار القصبة للنشر –الجزائر – 2006، ص 90 .

أ- تظلمات الطلبة الجزائريين:

ظل المثقفون الجزائريون يطالبون بالمساواة في مدة الخدمة وبإمكانية التكوين العسكري العالي وفي إطار الاحتياط، وكذا تجنيد طلبة الطب والصيدلة في سلك المصالح الصحية وتقليدهم الرتبة المناسبة لكفاءتهم، لقد رفضوا بشدة التمييز المقنن الذي خضعوا له- بحكم قانون الأهالي- إلى غاية 1944 .

كما أنهم طالبوا بالإعانات المالية نظرا لثقل النفقات الذي مثل عائقا كبيرا أمام أغلب الطلبة الجزائريين[1]، ضف إلى ذلك تعرضهم أكثر من غيرهم من الأجانب إلى التمييز العرقي والإهمال [2] وهذا ما جعل رئيسهم أحمد بومنجل يوجه رسائل مفتوحة إلى السلطات المسؤولة يشرح فيها أوضاعهم المتردية: فيبدو أن 27 طالبا مسلما جزائريا فقط، من بين 54 تمكنوا من إتمام الدراسة في مدينة الجزائر، وهكذا حق لبقية الطلبة أن يطالبوا بمزيد من الإعانة" وجاء في شهادة أخرى لمصطفى لشرف أن ظروف الطلبة الجزائريين كانت مزرية بالمقارنة مع أقرانهم التونسيين والمغاربة[3].

كانت المصادر الوحيدة المحتملة في غياب المنح أو تكملة لها، هي الإعانات التي ترسلها العائلات وكذا أجور الأعمال الصغيرة التي كان الطلبة ينجزونها[4] خلال العطل، وحتى في أثناء السنة الدراسية لأن الشعور بالأنفة والحرص على عدم تكليف ذويهم مزيدا من المتاعب كان يدفع العديد من الطلبة الجزائريين إلى البحث عن عمل رغم صعوبة إيجاده، وحين يعثرون على عمل فغالبا ما يكون إنجازه على حساب دراستهم أو وضعيتهم الصحية،

---

[1] مصطفى لشرف أعلام ومعالم – مآثر عن جزائر منسية، ذكريات الطفولة والشباب، ترجمة أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر- الجزائر2007، ص 140.

[2] لشرف، المرجع نفسه، ص ص 140- 141.

[3] بن نبي مالك، بين الرشاد والتيه، ط1، دار الفكر، دمشق- سوريا، 1978، ص ص 55- 56 .

[4] تخفيض ثمن التذاكر قد شكل مطلبا دائما لجمعيات الطلبة المسلمين في فرنسا: جمعية الطلبة المسلمين الشمال الإفريقيين بفرنسا وجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا. (راجع الدورية السنوية 28-19-29) (راجع الإقدام: (43). 21- 08- 1933) الطالب المناهض للاستعمار (15) وكذا ميثاق المطالب لاتحاد الطلاب الجزائريين بباريس.

ونادرا ما كانوا يتمتعون بعطلة حقيقية، نظرا لنقص الوقت أو المال، وكثيرا ما كانوا يقضون سنوات عديدة غرباء عن ذويهم، بسبب عجزهم عن دفع تكاليف السفر الباهظة (المنح لا تمنح سوى عشر أشهر في السنة)[1]، كان الطالب الجزائري مضطرا للاقتصاد في كل شيء، حتى الضروريات، وكان مجبرا أحيانا على توقيف الدراسة بسبب انعدام الموارد أو لأسباب صحية ولذلك كان أغلب الطلبة مجبرين على السكن في الفندق أو لدى الخواص بإيجار لا يناسب إمكانياتهم[2].

يجوز لنا أن نطرح السؤال التالي: بما أن الطالب الجزائري بباريس مستمر في المعاناة من الظروف المعيشية الضنك التي تماثل- من حيث الصعوبة- تلك المعيشة التي يجدها في الجزائر فلماذا الإصرار على عبور البحر الأبيض المتوسط؟ إن السبب الرئيسي لتلك الهجرة متمثل في استحالة الحصول على بعض الشهادات في المدارس العليا، وكذا في جامعة الجزائر، ولقد أخذ يزول تدريجيا مع تطور قائمة الاختصاصات المتوفرة كما أن حصول الوعي والنضج الفكري جعل الطموح يستولي شيئا فشيئا على اهتمامات الطلبة، هذا الموقف سانده بشدة أحمد بومنجل، حين كتب رسالة إلى الحاكم العام – سنة 1935- يقول فيها:" لا ينبغي مؤاخذتنا على مجيئنا "لنتفرنس" في باريس، ولا خوف على جامعة الجزائر أن تفرغ من طلابها؛ وهكذا تضاعف الطموح للتعرف على فرنسا الحقيقية" بفعل نزوع الطلبة إلى الفرار من الجزائر الخاضعة للنظام " الاستعماري"؛ فالثقافة الفرنسية الحقيقية أي تلك المقترنة بمبادئ الحرية كان ينظر إليها من حيث كونها نقيض الذهنية الاستعمارية المهيمنة والعنصرية[3].

---

[1] حسب التحقيق الذي قام به اتحاد الطلبة الجزائريين بباريس، ففي شهر فيفري سنة 1955: من بين 100 طالب جزائري، 6 يسكنون الحي الجامعي لشارع جوردان، 22 في دور جماعية للطلبة (معظمهم في الإقامة الجامعية في جان زاي في أنطوني) و68 في غرف بالفنادق أو عند الخواص (راجع مقال غوتييه والثير، " مناخات " 7-4-1955 نقلا عن: برفيليي، مرجع سابق، ص 90.

[2] برفيليي، المرجع نفسه، ص ص 91-93 .

[3] لكن دار الطلبة لم تتجاوز أبدا مرحلة رسم المخططات لإنجاز جناح شمال إفريقي في الحي الجامعي بشارع جوردان .

صاغ إبراهيم بن عبد الله (وهو طالب جزائري في باريس آنذاك) فحوى ذلك التناقض في عبارات واضحة، حيث قال في سنة 1935:"لا مناص من الاعتراف بأن الطالب المسلم محتقر في مدينة الجزائر، من طرف زميله الفرنسي الذي يعتبره في مرتبة أحط منه؛ وبالرغم من كل الصعوبات التي وضعتها الإدارة لإيقاف تلك الهجرة، فإن الرحيل إلى فرنسا صار الآن أمرا واقعا لا مندوحة عنه، هنا تتوفر فرص العمل بكثرة، وهنا الحياة أسهل والذهنية أحسن، وليس ثمة أحكام مسبقة مؤسسة على الفوارق بين الأجناس أو الديانات، إنّ الطالب المسلم الجزائري يعيش على قدم المساواة مع زميله الفرنسي".

كان الطالب الجزائري يشعر بالمعاناة من عنصرية المجتمع المسيطر، وقد انتقد أمقران ولد عودية هذه الذهنية الاستعمارية حين قال:" لا داعي إلى التذكير بأشكال التمييز السياسي والعنصري الكامن وراء إجراءات توزيع المنح الدراسية"، ثم قال :" إن جامعة الجزائر تختلق شتى العقبات للحيلولة ضد إرسال الطلبة الجزائريين إلى جامعات فرنسية، وهدفها هو منعهم من أن يطلعوا الفرنسيين في فرنسا على نظام القمع الفظيع المهيمن على بلدهم".

ب- المنظمات الطلابية:

تجمع الجزائريون مع رفقائهم من المحميات المجاورة في إطار جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في مدينة الجزائر منذ 1919، وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا بباريس سنة 1927، كما أنشأت جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بباريس ناد ومكتبة ومطعما تعاونيا ودارا للطلبة [1]، وكانت جميع تلك الجمعيات تقدم قروضا شرفية ومنحا للطلبة

[1] هذه الفكرة صاغها فرحات عباس في عبارات بليغة حين قال: " هؤلاء الطلبة الذين لا توليهم الجامعة، الآن، سوى بعض التعاطف المتعالي ليسوا فلذة كبد أسرهم وعائلاتهم فحسب، وإنما هم أبناء للشعب الجزائري وسيضحون من أجله ويخدمونه بكل ما أوتوا من مواهب".

المحتاجين وتسعى إلى تقديم الطالب للجمهور ليكسب وده (من خلال برمجة نشاطات ترفيهية وثقافية)..

بذلت الجمعيات الطلابية وسعها لتفنيد التصورات التي جعلت الناس ينظرون إلى الطالب نظرة " الابن المدلل" الذي لا يشغل باله هم ولا يؤرقه احتياج، وقد صرحت ودادية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا بذلك سنة 1933 وقد كان الطلبة مؤمنين بضرورة تحرير شعبهم بواسطة سلاح العلم الذي يمدهم به التعليم الفرنسي[1].

من الممكن أن يتبادر إلى الأذهان أنه من "غير المعقول أن يرفع أناس السلاح ضد دولة (فرنسا) وهم مدينون لها بتعليمهم وتثقيفهم وترقيتهم اجتماعيا واقتصاديا...؟ ونريد الإشارة هنا إلى الطلاب الجزائريين الذين ساعفهم الحظ وتثقفوا في المدارس والجامعات الفرنسية والجواب على ذلك أن الحركة الطلابية الجزائرية واكبت منذ نشأتها - في سنة1919- الحركة الوطنية الجزائرية،وشاركتها في اتخاذ القرار وتنفيذه، وسلكت نفس الاتجاهات والميول التي سلكتها الحركة الوطنية الجزائرية،ومن ثم فهي جزء لا يتجزأ من هذه الحركة الأخيرة[2].

" الطلبة الجزائريون" هي هيئة سياسية كانت تظم الطلبة المسلمين الجزائريين وكانت هذه الهيئة تعرف في كل فترة - منذ العشرينيات – تحت اسم معين، ففي سنة 1931 كان مقر الجمعية الطلابية بمدنية الجزائر وكانت تعرف تحت اسم " الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية " وقد تأسست خلال سنة 1918 وكانت لها مجلة خاصة بها هي "التلاميذ"،كما كان لها نشاط ثقافي وسياسي وقد ذكر فرحات عباس منظمة الطلبة الجزائريين تحت اسم " جمعية الطلبة " وقد حضر رئيس هذه

[1] عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954 . دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر. طبع في 2004، ص 12.

[2] مرتاض عبد المالك: المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983، ص ص 79- 80.

الجمعية المؤتمر الذي انبثق عنه إصدار بيان الشعب الجزائري خلال الحرب العالمية الثانية مما يدل على تمكن الوعي السياسي من الطلاب الجزائريين منذ وقت مبكر من القرن العشرين[1] .

فعلى سبيل المثال – يلاحظ الباحث تفاعل جمعية طلبة شمال إفريقيا مع القضايا الوطنية وسلوكها سياسة المراضاة رغبة منها في "تحقيق فكرة العمل لتوحيد الصفوف " على حد تعبير علال الفاسي فهي تؤيد كل الحركات الوطنية على اختلاف ميولها، نراها مثلا تقف مؤيدة للنجم سنة 1934 مستنكرة أعمال القمع والاعتقالات المسلطة على قادته، كما نراها تقيم حفل استقبال على شرف موريس فيوليت لتعرب له عن امتنانها لنشاطه في صالح الجزائريين ولتشكره على تدخلاته في مجلس الشيوخ دفاعا عن مصالحهم ونراها كذلك تبذل المساعي للتوفيق بين العلماء والنجميين، حيث استدعت شكيب أرسلان وبورقيبة والخلطي للتوسط بين الطرفين[2].

إن سنة 1937 تعتبر مرحلة هامة في حياة أرسلان والحركة الطلابية المغاربية، حقا إنه سبق لهؤلاء أن اتصلوا به أفرادا ومكاتبة؛ لكن حضوره بينهم في باريس واحتفالهم به جماعة والخطب المتبادلة والنصائح التي أسداها لهم كتنظيمات،كل ذلك كان أمرا جديدا وكانت النصائح التي يوجهها شكيب أرسلان إلى الطلبة؛ لا تكاد تخرج عن توجيههم إلى التضامن فيما بينهم واستغلال الظروف الداخلية والخارجية لإضعاف حلقة الاستعمار بإثارة الاضطرابات ضده وعدم التنازل عن حقوقهم في وجه ما يسمى بالإصلاحات الفرنسية والتضامن مع الحركات الإسلامية الأخرى وتنسيق الجهود مع مناضلي سوريا، مصر، تونس، المغرب والجزائر[3]، وفي مذكرات بعض الطلبة

[1] زوزو، الدور السياسي للهجرة، مرجع سابق، ص 154.

[2] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. الجزء الرابع. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الثانية. 2005، ص ص 128- 129.

[3] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر، الإعادة الرابعة، ط 2، 2004، ص 245.

المعاصرين[1] وردت تلميحات تشير إلى كون النجميين بكروا للاتصال بجمعية طلبة شمال إفريقيا وبالطلبة الجزائريين خاصة، وذلك لكسب عناصر مثقفة لحركتهم، ولا شك أن حركة النجم قد تأثر بها كثير من الطلبة إذ انخرطوا فيها ودعموا نشاطها الصحفي المتمثل في جريدة الأمة [2]، وهذا ما يؤكده ما جاء في مذكرات الطالب الجزائري (مالك بن نبي) من أن زعيم نجم شمال إفريقيا بادر إلى الاتصال بالطلبة الجزائريين في محاولة لكسب عناصر مثقفة لصالح الحزب.

وليس هناك ما يشير إلى وجود سوء تفاهم بين النجم وجمعية طلبة شمال إفريقيا، أو بين النجم والطلبة الجزائريين ومرد ذلك في نظرنا إلى نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا،الذي اقتصر على التوفيق بين كل الحركات الوطنية العاملة بفرنسا[3] وبعده عن الجماهير العمالية .

و لكن ما يقال عن الحركة الطلابية الجزائرية بشكل عام، لا يقال عن كل طالب جزائري كان يدرس في الجامعات الفرنسية ؛ إذ كان من بينهم من فضل الابتعاد قدر الإمكان عن الساحة السياسية ومنهم من تحمس لها واندفع نحوها بكل قوة [4]ولعل ما أورده مالك بن نبي في مذكراته دليل كاف على صحة هذا الرأي، فقد تباينت الاتجاهات السياسية للطلبة الجزائريين بفرنسا وتبعا لذلك ظهر منهم الاصلاحيون (من يرون أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قادرة على تحقيق الاستقلال الوطني وإنقاذ المجتمع الجزائري من البدع والخرافات التي تفشت فيه)[5]، كما تطلع بعضهم إلى أن

---

[1] من هؤلاء الطلبة : بوقادوم والحامى بومنجل، الذي تصدى للدفاع عن النجم في مناسبات كثيرة وقد كان هذا الأخير ضمن الوفد المتكون من نارون عمار وموساوي رابح لحضور المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بالجزائر أيام 9 -10-11 جويلية 1937.

[2] زوزو، الدور السياسي للهجرة...، مرجع سابق، ص 154.

[3] هلال، نشاط الطلبة الجزائريين...، مرجع سابق، ص ص 13 – 14 .

[4] مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي- عبد الصبور شاهين، "، دار الفكر للطباعة والنشر- والتوزيع، سوريا 1986، ص ص 28- 33.

[5] محمد العربي معريش، " مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين"، مجلة الثقافة – السنة الخامسة عشر، العدد – 85، يناير- فبراير 1985، ص 212.

يصبح وريثا لجمعية العلماء المسلمين بعد إنهاء دراسته[1]، وهناك من يناصر دعاة الاندماج معتقدا أن اكتساب المواطنة الفرنسية كفيل بجعل الجزائريين يتعايشون مع الفرنسيين وذلك في محاولة أولى للاستفادة من الحقوق والامتيازات الفرنسية، بينما يرى فريق آخر أن حزب نجم شمال إفريقيا قادر على تحقيق مطالب الجزائريين واستعادة السيادة الوطنية.

و في مذكرات مالك بن نبي دائما وردت إشارة إلى حالة الاستياء التي عاشها (على بن أحمد) * - وهو طالب من تبسة- عند اطلاعه على مقال لفرحات عباس بعنوان (أنا فرنسا) نشر في جريدة (اتحادية النواب) وفي هذا المقال أنكر فرحات عباس وجود وطن جزائري داعيا إلى تحقيق التحرر الاقتصادي والسياسي لجماهير الجزائر أولا [2]، فردت عليه جريدتي الأمة والدفاع متهمة إياه بالولاء لفرنسا[3]، كما نفى ابن جلول أن تكون هناك وطنية جزائرية وكل ما هناك في رأيه هو الوطنية الفرنسية "[4]*، وقد تفاعل الطلبة مع تلك القضية من خلال المقالة التي حررها مالك بن نبي رفقة زملائه واختار لها عنوان (مثقفون أو مثيقفون ؟) وانتظر نشرها في جريدة الدفاع للأمين العمودي ولكن العدد الأول والثالث من الجريدة صدر دون أن تنشر المقالة[5]، كما يبدو تحمس الطلبة لفكرة عقد المؤتمر الجزائري الإسلامي؛ الذي شمل النواب كافة والشيوعيين والمناضلين وجماعة من العلماء باسمهم الخاص لا بصفتهم أعضاء بجمعية العلماء[6]وفيه اتفق

---

[1] لقد نشر فرحات عباس مقاله في جريدة (لانتانت) 23 فبراير 1936.

[2] بوعبد الله عبد الحفيظ. فرحات عباس بين الإدماج والوطنية 1919 – 1962. مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2005- 2006. ص 77.

[3] وقد أعلن ابن جلول ذلك في27 فبراير1936.

[4] بن نبي، مذكرات..، مرجع سابق، ص ص 360 – 361

[5] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح. مذكرات. الجزء الثاني في الجزائر(1925 – 1954)، الطبعة الأولى(1977).المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1988، ص ص– 251 .

[6] سعد الله، مرجع سابق، ص 156، أنظر أيضا: محمد قنانش- محفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي 1926- 1937. وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. ديوان 250 المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1984، ص 111.

المؤتمرون على إسناد رئاسة المؤتمر إلى السيد ابن جلول وتألفت لجنة مؤقتة من تسعة أشخاص؛ ثلاثة من النواب (ابن جلول- بوطالب وبوكردنة) ومن العلماء (خير الدين، العقبي والإبراهيمي) ومن الشبان (ابن الحاج- بوشامة والعنابي)[1] كان من قرارات هذا المؤتمر إيفاد جماعة إلى باريس؛ لتقديم مطالب المؤتمر للحكومة الفرنسية[2]، وانعقد المؤتمر في 07 جوان 1936[3]، ورغم أن المطالب كانت معتدلة[4] إلا أن البرلمان الفرنسي لم يوافق على المشروع، ومن ثمة فشلت حركة المؤتمر الإسلامي[5].

زارت جماعة من الطلبة الوفد الجزائري الذي حل بباريس والتقوا بكل هيئة أركان حزب الإصلاح: من الشيخ ابن باديس إلى الإبراهيمي والعقبي وعبد الرحمان اليعلاوي والأمين العمودي[6]و المحامي "سي بلقاضي"[7]، وكان على رأس الوفد رئيس (اتحادية النواب) وفرقة من أعضائها مثل فرحات عباس.

يمكننا القول بأن أغلب الطلبة الجزائريين، رغم تكوينهم في مؤسسات أجنبية، كانت لهم ميول سياسية أو على الأقل اهتمام بالقضية الوطنية ويبدو ذلك من خلال خيبة أملهم عند تعثر المؤتمر الإسلامي وخاصة بعد مقتل مفتي الجزائر الشيخ (بن كحول)[8] ؛ حيث ورد في مذكرات مالك بن نبي

---

[1] محمد عباس، رواد الوطنية شهادات 28 شخصية وطنية. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. 2005، ص 79.

[2] شرفي عاشور: قاموس الثورة الجزائرية(1954- 1962)، دار القصبة للنشر. الجزائر. 2007، ص 396.

[3] كريمة عرعار، دور جمعية العلماء المسلمين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية. مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2005- 2006، ص 18.

[4] أبو القاسم سعد الله، " مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830- 1954 " (دراسة مركزة على الجزائر)، مجلة الثقافة . السنة الرابعة عشرة- عدد 79. يناير- فبراير 1984، ص 82.

[5] كان يشغل منصب كاتب عام لجمعية العلماء المسلمين، ومديرا لجريدة "الدفاع" التي صدرت بالفرنسية.

[6] هو علي قاضي، كان محاميا من مدينة تلمسان وكان عضوا في وحدة النواب، شارك في بعثة المؤتمر الإسلامي بباريس، والوفد الذي تجول في الجزائر خلال شهر أكتوبر 1936 لشرح نتائج المؤتمر والبعثة.

[7] هو ابن دالي عمر المعروف بـ (محمود كحول) معروف بمعارضته للعلماء، ولد سنة 1870 وتوفي عام 1936 . أنظر: عميراوي احميدة، أوراق تاريخية- دار الهدى – عين مليلة (الجزائر) – 2006، ص 98.

[8] هي جريدة الصباح المرسيلية.

ما يلي: " نقلت الصحافة[1] نبأ مقتل مفتى الجزائر (الشيخ بن كحول) وكانت تعزوه إلى جمعية العلماء[2] وفي نفس الأسبوع نقلت أن زعيم حركة اتحادية النواب الذي كان على رأس الوفد الجزائري عاد إلى فرنسا في زيارة خاطفة وعند نزوله من الباخرة بميناء مرسيليا استفسرت الصحافة عن علاقته بجمعية العلماء فرد بأن لا علاقة لهم (للنواب) بمن أيديهم مخضبة بالدم؛ فكان ذلك طعنة للمؤتمر الإسلامي بعد شهرين من انعقاده[3] "، كما برز تأثر الطلبة واستنكارهم للاضطهاد الذي تعرض له المسلمون وقتذاك، بسبب أحداث قسنطينة سنة 1934، والتي كانت ضحيتها مقتل 25 شخصا وجرح 60 آخرين وحجز4 مساكن ونهب 300 محل تجاري من جانب اليهود مقابل قتل 4 مسلمين واعتقال العديد منهم[4].

كان الطلبة مهتمين بما يجرى في الجزائر، ولذلك هزتهم قضية (سجائر جوب) التي أعلن الجزائريون أنهم يرفضونها، بحجة أن دار جوب تعمل لحساب الصهيونية في فلسطين وقد أخذ الحدث بهذا السبب حجم قضية تهم الدولة وخصوصا الأوساط الاستعمارية بوصفه تعبيرا شاملا للضمير الوطني في ظرف معين*[5]، ويشير محفوظ قداش إلى أن أول الجرحى في هذه الأحداث - الذين استقبلوا في المستشفى يوم 5 أوت- كانوا مسلمين[6].

---

[1] ورد في مذكرات أحمد توفيق المدني أن جمعية العلماء بريئة من اغتيال المفتى (بن كحول)، حيث كان شاهد عيان على الحادث " أنظر : المدني، حياة كفاح (مذكرات) ...، مرجع سابق، ص ص 254 – 255، لعل الطيب العقبي اتهم في مقتل الشيخ كحول من أجل إسكات صوته المضاد للصهيونية والمدافع عن حق العرب والمسلمين في فلسطين منذ مؤتمر القدس 1931، أنظر: يوسف مناصرية، النشاط الصهيوني في الجزائر(1897- 1962)، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2009، ص 255.

[2] بن نبي، مذكرات...، مرجع سابق، ص 368.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر – الفقرة الحديثة والمعاصرة، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر. 1988، ص ص 294- 295.

[4] بن نبي، مذكرات...، مرجع سابق، ص ص 336 – 337.

[5] محفوظ قداش،" حوادث قسنطينة (أغسطس 1934)"، ترجمة عبد الحميد حاجيات . مجلة حضارة وتاريخ المغرب. عدد 12.ديسمبر 1974، ص 84.

[6] بن نبي، المرجع نفسه، ص 358.

لم يكن اهتمام الطلبة بما يجرى في بلادهم؛ ليمنعهم عن متابعة ما يجرى بفرنسا؛ فقد كانوا مثلا يتابعون تأهب فرنسا للانتخابات العامة التي سيكون لها أثر كبير في الاتجاه السياسي بالجزائر، بعد ظهور (الجبهة الشعبية) في مظاهراتها الصاخبة بميدان (الباستيل) يوم 14 جويلية 1936، والتي استطاعت بعدها الحركة المصالية أن تعبر البحر الأبيض المتوسط ربما لأن زعيمها مصالي الحاج أسهم في تلك المظاهرة الفرنسية[1]. نستطرد هنا للإشارة إلى أن بعض الطلبة الجزائريين كانوا يتطلعون إلى التواصل مع رجال الفكر والثقافة (من المسلمين والأوروبيين) وأهمهم:

وفد من علماء الأزهر كان قد وصل إلى باريس من أجل تحضير شهادة الدكتوراه؛ تحت إشراف أساتذة الصربون ومعهم بعثة من طلاب جامعة القاهرة لتحضير شهادات أخرى وقد أتيح لبعض الطلبة الجزائريين التعرف على هؤلاء الطلبة وأولئك العلماء، ومن بينهم الشيخ (التاج) والشيخ (دراز) رحمه الله[2]، تعرف الطلبة أيضا على شخصية هامة كان لها دورها في الحياة العامة الجزائرية في تلك الحقبة والتي يمثلها (برنارد لوكاش)، وفضلا عن ذلك كانت للطلبة فرصة التعرف على شخصيات سياسية بارزة من أمثال: (فريد زين الدين)[3] الذي كلفه شكيب أرسلان[4] بدعوة الطلبة العرب الموجودين بالعاصمة الفرنسية لتشكيل جمعية (الوحدة العربية)[5] والتي تبناها من

---

[1] بن نبي، نفسه، 359 .

[2] هو طالب نجيب من جبل الدروز، كان يعد دكتوراه في الحقوق، شغل منصب نائب وزير الخارجية للجمهورية العربية المتحدة زمن الوحدة بين سوريا ومصر.

[3] كان لاجئا في جنيف وكان يصدر جريدة الأمة العربية التي تصل بعض أعدادها إلى الحي اللاتيني فيطلع عليها الطلبة.

[4] بن نبي، المرجع نفسه، ص ص 249 – 250.

[5] يصرح في كتابه استعباد الإسلام أنه منحدر من أسرة ألزاسية قديمة من صنف المقاتلة، يؤيد هذا أن والده كان جنرالا في الجيش الفرنسي- ومؤرخا في ذات الوقت، وهو معتصم بأهداب ووطنيته، ليس شيوعيا وهو كاثوليكي خالص، اشتغل في المستعمرات الفرنسية وخاصة في الفيتنام بصفة نائب المقيم الفرنسي- في تونكين، هذا ما صرح به في عناوين كتبه، حيث عرف بنفسه على أنه "ancien vice résident de France au Tonkin" عرف كذلك على أنه " haut fonctinonnaire francais "أي موظف سامي فرنسي، كان صديقا لإحسان حقي حيث عرفه سنة 1933 في جنيف يوم كان إحسان حقي أمين سر المؤتمر الإسلامي الأوروبي؛ الذي أسسه بالاشتراك مع شكيب ارسلان، كما نقلت المصادر التاريخية أنه عاون نجيب عزوري- القومي اللبناني الذي توفى سنة 1916- على تأسيس "L'indépendance Arabe" الاستقلال العربي .

الجزائريين "نسيب محمود"، كما تعرف هؤلاء الطلبة على رجال الفكر والثقافة من أمثال (أوجين يونغ)[1] الذي تعرف عليه الطلبة من خلال كتابه (الإسلام بين الحوت والدب)، وهذا ما يؤكد أهمية الرجل في صناعة الوعي بالظاهرة الاستعمارية؛ لأنه رفع بكتبه مستوى الفهم لحقيقة الاستعمار[2].

وكثيرا ما تعرض آباء الطلبة إلى فقدان مناصبهم أو وظائفهم، بسبب نشاط أبنائهم الذي يمكن أن يتمثل في إلقاء محاضرة أو التعبير عن الرأي فيما يخص قضية تحرر الوطن من السيطرة الاستعمارية[3]،كما يبدو أن الطلبة كانوا على علم بأشكال تدخل الاعتبار السياسي التي تتدخل لخلق صعوبات حتى في التمارين الضرورية التي تختم دراسة المهندس وهذا ما جعلهم يفكرون في التمرن خارج فرنسا [4]، كما أشرنا سابقا فإن الطلبة كانوا يتحينون الفرص المناسبة للتعريف بقضيتهم الوطنية والمطالبة بتحرير بلدهم، فنراهم مثلا يشاركون في التظاهرات التي تنظمها الحركات اليسارية[5] ويحاولون من خلالها التكلم بضمير أبناء وطنهم، كما أنهم سعوا جاهدين لإقناع مختلف الشرائح الجزائرية المهاجرة (من عمال وطلبة وعاطلين عن العمل) بالمطالبة بحقوقها[6].

---

[1] أهم كتبه الدول الكبرى أمام الثورة العربية والأزمة العالمية – الثورة العربية من 1906 إلى سنة 1925 – الإسلام والمسلمون في الشمال الإفريقي – يقظة الإسلام والعرب – الإسلام وآسيا أمام الامبريالية- أنظر: عمار جيدل، أفكار استعمارية وسبل دفعها كما كشفها نزهاء الغربيين – أوجين يونغ أنموذجا – الطبعة الأولى – جسور للنشر والتوزيع- الجزائر 2008، ص 23 .

[2] ذكر م. بن نبي أن والده فقد وظيفته (في تبسة) بسبب إلقاء ولده محاضرة في فرنسا في أواخر ديسمبر1931 يحاول من خلالها إقناع الرأي العام بعدالة القضية الجزائرية.

[3] بن نبي. مذكرات...، مرجع سابق، ص 363.

[4] حضر مالك بن نبي تظاهرة نظمتها الحركات اليسارية يوم 28 سبتمبر1938، واقترح أن يوجه المؤتمر برقية إلى الحكومة، يطالبها بمنح شعوب الشمال الإفريقي حقوقها، حتى تدخل المعركة من أجل الديمقراطية شاعرة بكرامتها لا بوصفها مرتزقة، غير أنه في آخر الجلسة قرئت على الحاضرين لائحة التوصيات؛ دون الإشارة إلى اقتراحه أو حتى مجرد التلميح إليه، وهذا يبدو إغفالا عن قصد ولا يمكن اعتباره نسيانا لأنه مرتبط أساسا بالإيديولوجية الاستعمارية.

[5] اغتنم م. بن نبي فرصة حضوره مظاهرة (برنارد لوكاش) ليعرف بوحشية الوضع الاستعماري في الجزائر، متجنبا كل ما يجعل منه مرافعة ضد الشعب الفرنسي حتى لا يجرح عواطف الحاضرين، ولكن مبينا لقسوته على الشعب الجزائري.

[6] كان من بين مؤسسيه: التلموذي من عنابة وهو صاحب حانة المرايا في مرسيليا، سوالمية من القصبة وهو أحد العمال الكادحين بميناء مرسيليا، حشيشي مختار من تبسة وهو مصدر خيول إلى فرنسا، سي الجيلالي وسي الصديق (بن نبي) الذي عمل كمدرس في هذا النادي.

بالإضافة إلى الاهتمام بالقضية الوطنية؛ نجد بعضهم يتطلع إلى تحسين ظروف المهاجرين ومحاولة تثقيفهم، وقد تجلى ذلك في تأسيس (نادي المؤتمر الإسلامي الجزائري) بمرسيليا[1] الذي يقع في 16 شارع فوشييه، تجاه مؤسسة مسيحية للتعليم (و هي معهد سان جاك). كان هذا النادي يتلقى تمويلا من التجار والعمال الجزائريين، بينما تولى مالك بن نبي مهمة التدريس، حيث كان يأمل أن يعلم التلاميذ القراءة والكتابة ليتمكنوا من إمضاء اسمهم، على الأقل، في مكتب بريد أو في إدارة عملهم، وذلك لأنه كان على علم بأن علاقته الشخصية بالنادي كمدير تغضب السلطات العليا، بالإضافة إلى أن النادي لا يملك رصيدا وضمانات[2] على غرار معهد سان جاك، كما كانت ظروف التلاميذ صعبة[3] ولهذا يمكن ألا تسمح لهم بالبقاء لفترة طويلة، وهذا ما يجعل احتمال بقاء النادي حيا(احتمالا ضعيفا)، وذلك ما حدث فعلا فقد تلقى الصديق (مالك بن نبي)دعوة للحضور من أكاديمية مرسيليا وعلم من حديث المفتش بأن دروسه [4] ستتوقف لأسباب مختلفة[5].

---

[1] كانت الإمدادات تأتيه من شارع لوشابولييه؛ وقد بدأت تتقلص نظرا لتقاعس أصحاب المتاجر الجزائريين وتقلص إمداد المؤسسين للنادي.

[2] كانت أعمار التلاميذ متفاوتة وظروفهم كذلك، كان أصغرهم (بن يحي السعدي) طفلا دون السابعة عشر من العمر، نزح من (وادي أميزور) بجبال القبائل وكان يرعى الشياه، كما وجد من بين التلاميذ رجل مسن ذو قامة طويلة وهيكل متين اسمه تاشفين عبد الله، كان الرجل مؤدبا في أحد الكتاتيب يحفظ القرآن للأطفال، ولكنه غادر تلمسان متجها إلى فرنسا عندما أصبحت هذه الحرفة لا تضمن لصاحبها القوت إن كان له عيال.

[3] كان موقع النادي بشارع فوشييه نقطة إستراتيجية بالنسبة لنشاطه، الذي يتضمن أسبوعيا درسا لحلقة تلاميذ عشية كل سبت،ومحاضرة عامة للجمهور عشية الأحد.

[4] كان النادي ورشة حداد سابقا، وهو عبارة عن قاعة مستطيلة عميقة الغور، بيضوا جدرانها بالجير الناصع وفي أعلى جدارها الأمامي - قبالة الباب – كوة لا صغيرة ولا كبيرة، كانت تضيء الورشة وعلى اليسار عند المدخل قاعة صغيرة، يفصلها عن القاعة الكبيرة جدار خشبي، وتضيئها نافذة عادية مطلة على شارع (فوشييه)، قبالة باب المؤسسة المسيحية، ربما كانت سابقا مكتب الحداد، وقد اتخذت مكتبا للنادي، وقد برر المفتش غلقه للنادي بأن إدارة الشؤون الأهلية في شمال إفريقيا أصبحت صعبة منذ قضية فلسطين .

[5] من أمثال الطلبة الذين درسوا بالمشرق والمغرب العربيين(ابن باديس بالزيتونة "تونس"، المجاوي " المغرب الأقصى"، عمر بن قدور" مصر" الطيب العقبي ورضا حوحو "الحجاز" والبشير الابراهيمي "سوريا"...، أنظر:

Yahiaoui – Merabet Messaouda , Société musulmane et Communautés Européennes dans l'Algérie du XXe siècle (Réalités, Idéologies,Mythes et Stéréotypes), Tome1, Editions Houma, Alger, 2009.p 244.

بناء على ما ذكرناه سابقا، يمكننا القول بأن أوضاع الطلبة في فرنسا كانت صعبة للغاية سواء من حيث الإيواء أو الإطعام أو المنح أو...، غير أنهم حاولوا التكيف مع تلك الظروف؛ رغبة في الحصول على شهادات قد تتيح لهم فرصة الارتقاء الاجتماعي عند العودة إلى الوطن.

إن الحديث عن المثقفين الجزائريين الذين يمثلون اتجاه النخبة ودورهم في الدفاع عن القضية الوطنية لا يجب أن يدفعنا إلى تجاهل الدور الهام الذي لعبه المثقفون المحافظون[1]، وخاصة خلال الحرب العالمية الأولى إثر صدور قانون التجنيد الإجباري الذي ألزم الجزائريين بالمشاركة إلى جانب فرنسا ضد ألمانيا وقد برز في هذا الشأن عدد كبير من الأئمة ومشايخ الزوايا[2] وطلبة القرآن والفلاحين بصفة عامة وهم الذين رفضوا التجنيد الفرنسي للجزائريين، سواء بنيل الحقوق أو دونها، لأنه يعتبر جريمة في نظرهم وفي دينهم الذي لا يسمح لهم أن يقاتلوا من أجل الطاغوت؛ ويبدو أن موقف المحافظين من الوجهة الاجتماعية في محله، لأن الجندي الذي يعيش في وسط اجتماعي أوروبي لابد أن يفرض عليه مالا تحمد عقباه[3]، أما من الوجهة الاقتصادية فإن الأسر التي فقدت أبناءها سوف تتأثر بذلك وخاصة الفقيرة منها، بينما كان جماعة النخبة يدعون إلى الإدماج وقبول قرار التجنيد، من خلال حملاتهم التي يقومون بها داخل الجزائر[4]،وذلك من أجل

---

[1] غير أن هناك بعض شيوخ الزوايا الذين أبدوا موقفا مختلفا، تمثل في محاولة إقناع الجزائريين بمساندة فرنسا في حربها والدفاع عنها ضد ألمانيا. أنظر:

Arnest Leroux Edjeur, " Les musulmans Français et la guerre (Adresse et témoignages de fidélité des chefs musulmans et des personnage religieux de l'Algérie et de la Tunisie)". Revue du monde musulman, Paris, 1915.p.p. 56 – 60- 74 – 76.

[2] قد يجبر المجندون على أكل لحم غير مزكى أو غير مذبوح على الطريقة الشرعية أو شرب الخمر، كما أن علاقاتهم الأسرية ستفتر بسبب غياب الشباب وانقطاعهم عن أسرهم لفترة زمنية طويلة، وستتأثر أراضيهم الزراعية نتيجة غيابهم الطويل عنها.

[3] كانت مطالبهم محددة وهادفة أهمها: المساواة في مدة الخدمة العسكرية – إلغاء الحوافز المادية لأن العائلة الجزائرية ستكون فخورة وهي ترى أبناءها في الجيش الفرنسي دون تعويض مادي – إلغاء قانون الأهالي – التمثيل النيابي الجاد – التوزيع العادل للضرائب – إلغاء الضرائب العربية – العدالة في توزيع مصادر الثروات دون تمييز – التمثيل في البرلمان الفرنسي- أن يشكل عدد الممثلين الأهالي في المقاطعات الجزائرية خمسين من العدد الفعلي – حق الاختيار للذين يرغبون في الخدمة العسكرية عن طريق الشراء أو التطوع .

[4] شافعي عبد الله، ثورة الأوراس (1335هـ / 1916 م)، إنتاج جمعية أول نوفمبر- باتنة (1416هـ / 1996م)، ص ص 77- 79.

إقناع إخوانهم حتى يتقبلوا هذا القرار الذي يمكن به الحصول على الحقوق السياسية والتعويضات المادية[1]، ومن بين المقترحات التي قدمها جماعة النخبة لتحسين حالة الطبقة الثالثة الجزائرية تسهيل الهجرة إلى فرنسا، ففي سنة 1912 فتح أحد الجزائريين مكتبا في العاصمة لكي يساعد مواطنيه على الهجرة إلى فرنسا، وقد برر جماعة النخبة اقتراحهم بأن الهجرة إلى فرنسا ستكون لها فوائد بالنسبة للجزائريين ولفرنسا نفسها، وذلك لأنها:

1- سترفع من حالة الجزائريين المعنوية من خلال الاتصال بالآخرين والتعرف على مجتمعات مختلفة.

2- ستضاعف من تصوراتهم وتجاربهم التي قد يجدونها مفيدة حينما يعودون إلى بلادهم.

3- ستصلح من حالتهم المادية، بالإضافة إلى أحوال عائلاتهم في الجزائر، لأن الأجور في فرنسا أعلى منها في الجزائر.

4- ستعطي للاقتصاد الفرنسي فرصة اليد العاملة الرخيصة[2].

لقد دافع المثقفون الجزائريون عن القضية الوطنية، ويمكن أن نقدم هنا بعض الأمثلة:

مطالبة الشباب الجزائريين- منذ سنة 1891- بتوسيع تمثيل المسلمين في المجالس الجزائرية وفي البرلمان الفرنسي أو أي من المجالس المنتخبة التي تدور في فلكه، ولذلك السبب كانت مطالبهم متكاملة أكثر مما كانت متعارضة؛ بل لا تعارض بينهم حتى وإن بدأ نوع من التمايز يرتسم فيما بعد من ابن رحال إلى ابن ثامي[3].

يمكن أن نظيف إلى ذلك الأثر الحاسم الذي حدث في نفوس الطلبة الجزائريين؛ نتيجة القمع الذي تعرضت له حركة أحباب البيان الجزائري إثر

---

[1] أبو القاسم سعد الله،: الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930).الجزء الثاني.الطبعة الرابعة.دار الغرب الإسلامي.بيروت- لبنان، 1992، ص ص 166- 167.

[2] غي برفيليي، مرجع سابق، ص 426.

[3] برفيلي، مرجع سابق، ص 502.

الثامن ماي في نواحي قسنطينة وفي شتى أنحاء الوطن، نستشف ذلك مما سجله كاتب ياسين آنذاك – حيث كان طالبا في مؤسسة للتعليم المتوسط بمدينة سطيف- فسجل شهادة حية تعبق برائحة لهيب الأحداث في روايته "نجمة"، كما عبر عن ذلك الصادق هجرس؛ فكانت شهادتهما عن تلك الدراما تعبيرا رائعا عن الصدمة الجماعية التي مست الجزائر كلها، تقريبا، بدرجات متفاوتة.

قدمت مريم بلميهوب في 25 أفريل 1957، أمام القضاة، سردا مفصلا عن المآخذ التي رفعها الشعب الجزائري قائلة:" عندما يتعلق الأمر بالحصول على حقوقنا فنحن لا نعتبر مواطنين فرنسيين ولكن حين يتعلق الأمر بأداء الواجبات فإننا نعتبر كذلك، لقد حارب الجزائريون معكم ضد النازيين أثناء الاحتلال ولقد وعدتموهم،مقابل ذلك، بمنحهم حكما ذاتيا واسعا وكالعادة وضعوا كل ثقتهم في الوعود الفرنسية. لقد مات عدد كبير من الجزائريين في ميدان القتال أثناء محاربة الألمان الذين سعوا لتحويل الفرنسيين إلى "جرمان"، فكانت المكافأة على تلك المساعدة الثمينة والفعالة استجابة فرنسا لاستفزازات المستوطنين بإطلاق النار على الجزائريين في 8 ماي1945؛ ذلك اليوم الدامي في التاريخ الجزائري حيث تم إعدام 45000 من الشباب في كل من سطيف وعنابة وقالمة وباتنة"[1].

توصل أحمد طالب الإبراهيمي بدوره إلى نفس النتيجة مؤكدا على المهانة المتمثلة في تزوير الانتخابات سنة 1948 وعلى طبيعة الشعور بالكرامة المهدورة الذي تولد في نفوس الجزائريين جراء التزوير المستمر للانتخابات، مؤكدا أن باب الثورة يفتح تدريجيا حين تستنفذ جميع الوسائل الأخرى للتعبير عن طموحات الشعب[2].

[1] نفسه، ص 503.

[2] شبكة الاتصال لجبهة التحرير الوطني هي من إنجازات عبد الحفيظ بوصوف، أنظر: برفيلي، نفسه ص 260 .

من جانب آخر يمكننا أن نشير إلى الدور الكبير الذي لعبه الطلبة الجزائريون إبان ثورة التحرير الجزائرية، فكان الطلبة الأكثر اقتناعا بالقضية الوطنية مكلفين بتبني المناصب الإدارية (كتابة، محاسبة وتموين) أو مصالح العدالة والتعليم والصحة وكذا مجال الاتصالات[1]، صناعة الأسلحة وخصوصا المتفجرات، وننوه هنا بالدور الكبير الذي لعبه فرع مدينة الجزائر لـ "الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين" الذي شكل وحدة قتالية تحت إمرة جبهة التحرير قبل الفروع الطلابية الأخرى بكثير،و ذلك من خلال الحماس الذي تمتع به مسيروه أمثال:محمد الصديق بن يحي،علاوة بن بعطوش، لمين خان وبوعلام أوصديق وسعيد حرموش، لذلك فإن ترقية محمد الصديق بن يحي- رئيس فرع الجزائر- إلى رتبة عضو في المجلس الوطني للثورة الجزائرية بقرار صادر عن قيادة الجبهة منذ أوت 1955 كان بمثابة تثمين للجهود الضخمة التي بذلها فرع الجزائر للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (باتصال مع ودادية الشبيبة الطلابية المسلمة) في تأطير وتعبئة الوسط الطلابي خلال مدة لم تتجاوز سنة واحدة فقط، كما كان من نتائج إضراب 19 ماي 1956 أنه وضع طلبة الجامعة ومؤسسات التعليم الثانوي والمتوسط كلهم تحت تصرف جبهة وجيش التحرير الوطني[2].

سجل التاريخ أيضا إنجازات بطولية لكل من عبد الرحمن طالب الذي نفذ فيه حكم الإعدام بالمقصلة في أفريل 1958 وزهرة ظريف وسامية لخضري وحسيبة بن بوعلي اللواتي كلفن بوضع "الحوائج"، كما يحلو لياسف سعدي تسميتها، في الأماكن العمومية في الأحياء الأوروبية.

لعل ندرة الإطارات المؤهلة هي التي سمحت للطلبة بتولي مسؤوليات هامة (حيث وقع اختيار مجلس التنسيق والتنفيذ على بلعيد عبد السلام لقيادة المنطقة المستقلة ذاتيا لمدينة الجزائر، غير أنه التجأ إلى المغرب قبل

[1] نفسه، ص ص 258- 259.

[2] نفسه، ص ص 263- 264.

أن يصله خبر تكليفه بتلك المهمة، وأوكل فرع السياسة لطالب في معهد الدراسات الاسلامية العليا والمناضل سابقا في شبكة القنابل وهو عبد الرحمن بن احميدة، وبعد سلسلة الاعتقالات الجديدة في سبتمبر1957 كلف حاج اسماعين وهو موظف في القضاء الإسلامي بتولي الفرع السياسي وأوكلت مسؤولية فرع التحرير للطالب حوحات...)[1].

مجمل القول أن نشاط الطلبة الجزائريين برز بشكل واضح منذ بداية القرن العشرين وخاصة خلال ثورة التحرير الكبرى، وقد مكنهم ذلك من الاندماج مع شعبهم ومقاسمته شظف الحياة وأشكال التهميش والتعذيب؛ وفضلا عن ذلك سمح لهم بالتعبير عن مطامح مواطنيهم وذلك بعد الولوج إلى المداشر الجبلية والقرى المعزولة وقد زادتهم مرارة الاحتجاز - وراء قضبان السجون وخلف أسلاك المحتشدات الشائكة - إصرارا على استعادة الكرامة المسلوبة والتمسك بالشعائر الدينية المقدسة والأرض الطاهرة التي ظلت ترويها دماء الجزائريين منذ 1830.

[1] إبراهيم مياسي، توسّع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996 ص ص397-398.